فلسطينيين

شعارات وطنية/ قومية، لهي منبر للدفاع عن نظام يفقد مسببات وجوده إن توقف، ولو لمحة عين، عن تنفيذ المهام المعادية للعروبة التي خلقه الاستعمار الغربي بقيادة بريطانية/ أميركية لتنفيذها. وثمة ما يكفي من الوثائق البريطانية الرسمية ذات العلاقة وهناك كتب عن المادة تعتمد الوثائق الرسمية مرجعاً.

سياسات هذا النظام، منذ أن أنشأته دائرة المستعمرات بوزارة خارجية الامبريالية البريطانية تثبت هذا حقيقة غير قابلة للنقاش، وكافة مساحيق التجميل غير قادرة على حجب وجهه القبيح، وأي محاولة، مهما كانت بائسة، لذلك إنما تصب في خانة التطبيع مع العدو الصهيوني وأصدقاءه من العربان المتصهينين، ومحاولة تضليل الرأي العام؛ لكن، كما أسلفنا، قارئ صحيفة «الأخبار» ذكي ومسيس، كما تثبت معظم تعليقات القراء المنشورة.

المهام الملحة التي تواجه القوى الوطنية/ القومية في الأردن، فلسطينية وأردنية، تتلخص في توحيد نضالهما للوصول إلى الهدف المنشود. ففي فلسطين وقضيتها والنضال من أجلهما تتكثف كل معاني النضال الوطني/ القومي، بكافة تفرعاته السياسية والفكرية والاجتماعية... وهذا ما جعلنا نقول منذ بداية الحراكات التي شهدتها بعض الدول العربية: «فلسطين بوصلتنا»، و«لا شرعية لثورة ليست فلسطين شعارها».

كون فلسطين بوصلة المحارب يجعل كل من لا يرفع هذا الشعار أو يحاول الالتفاف عليه، محاولاً الاختباء خلف أي عذر أو مسوغ، مضلِّل هدفه لفت الانتباه بعيداً عن المهام الملحة خدمة لأعداء أمتنا.

يضاف إلى حملات التضليل تلك تصرفات طفولية، لكنها خطرة، تفضح الطبيعة التلفيقية والنفعية والذرائعية لبعض هذه القوى ومنها محاولة مصادرة الانتصار الفلسطيني في معركة الكرامة الخالدة، ولنا عودة إلى هذه المسألة في مقالة قادمة لنوضح أن هدفها عنصري إقصائي تذللي لسيدنا جلالة مليك البلاد وجيوشه المتخصصة في قمع الفقراء والمناضلين، ليس غير.

نكرر، إن إصرارنا على نيل حقوقنا في وطننا الذي اغتصبه العدو بمساعدة الإمبريالية العالمية وتواطؤ عربان أنظمة سايكس بيكو الفعال لا يمنع أي كان من متابعة أي ملف وطني ملح آخر. لكن صحة موقفه الوطني/ القومي يتبين من مقاربته لهذا الملف أو ذاك، إن كان يؤثر إيجابياً في فلسطين الوطن والقضية الوطنية/ القومية.

نظام عمان المرتبط منذ نشوءه بالصهيونية والغرب الاستعماري، ارتباطاً عضوياً، تجاوز دوره كمقاول للمشاريع التي تحيكها الإمبريالية، والصهيونية وجزءاً عضوياً من مؤامرات النظام الإمبريالي العالم، إلى منخرط بحماسة في هذه المؤامرات التي تحاك في العديد من بلادنا العربية. إن انتقال نظام عمان، ومن معه، ضمناً أو علانية، من اليسار السلطاني من المروجين لرهاب الفلسطينيين وهذيان الوطن البديل والخصوصية التي تواجه أخطار الذوبان وما إلى ذلك إلى العنصرية المفضوحة المستندة إلى محاولة الفصل بين سكان الأردن إلى شرقي - أردني أصيل وفلسطيني دخيل، لأمر خطير. سياسات نظام عمان والمروجين لها من اليسار الملوكي/ السلطاني القائلة بوجود خطر من المهجَّرين عنصرية بامتياز ومضلِّلة لأنها تلقي على الضحية وليس على الجناة، باللوم. شعب فلسطين لم يرض يوماً أن يكون أداة لأحد ولن يقبل إطلاقاً أن يكون مكسر عصا لكل المتخاذلين والمضلِّلين، وهذا ما أثبتته الأيام. وفي حال سالت الدماء في شوارع مدن الأردن ومخيمات العائدين الأبطال وقراه وبلداته، فالمسؤولية تقع على طرف واحد هو العنصري الجاني المروج لرهاب الفلسطينيين.

ثمة طريق واحد لمنع المزيد من الكوارث الوطنية/ القومية والانطلاق نحو الفعل بدلاً من البقاء في دائرة ردود الفعل، تتلخص في قيام حركة وطنية/ قومية أردنية _ فلسطينية، سمها ما شئت، بوصلتها فلسطين. ففي فلسطين تتكثف كل معاني النضال الوطني/ القومي السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية والعسكرية في كل بلاد العرب. هذا طريق التحرير والتحرر الصحيح والأقصر والأقل خسائراً، شاء من شاء وأبى من أبى. وعلى الأجيال العربية الشابة الفتية التي لم تتلطخ بذنوبنا وآثامنا وسلبياتنا، في فلسطين وفي الأردن، وبالتالي في مختلف أجزاء وطننا العربي، الاستفادة مما ثبت صحته في تجاربنا النضالية الماضية والأخذ به، وتجنب الغرق في النقاشات التي لا طائل منها والجدل في مسائل فكرية نظرية لا تقدم ولا تؤخر، ووضع فلسطين نصب أعينها، وجعلها بوصلة المحارب... ففلسطين تجمعنا.

* كاتب عربي

تعتبر نفسها القطب الأوحد في العالم، وأنها قدر الشعوب الذي لا فكاك منه.

المشكلة لدى الولايات المتحدة أنه في أي بحث عن حلول سياسية للمشاكل الدولية وعقد التفاهمات مع روسيا، أنها ستكون مضطرة إلى تقديم تنازلات في المسائل المختلفة، وذلك لسبب بسيط هو أنها طرحت منذ البداية الحد الأقصى لمطالبها اعتماداً على قدراتها على دعم الأطراف المناوئة لروسيا إلا أنها اكتشفت أن إمكانات حلفائها وقدراتها أقل من أن تمكنها من تحقيق أي من شروطها في الأزمة الأوكرانية، ليس عليها سوى الموافقة على اتفاقية 21 فبراير/ شباط بإعادة الأوضاع في أوكرانيا إلى ما كانت عليه قبل الانقلاب الفاشي. وهو ما يضمن المصالح الروسية والمصالح الأوكرانية بعيداً من التدخل الغربي وضرورة التنازل عن محاولة فرض واقع جيوسياسي على الحدود الغربية لروسيا، وأن الثمن المطلوب من أميركا والغرب هو الموافقة على نتائج الاستفتاء الشعبي في القرم.

أما في سوريا فقد تبنت طرح إقصاء الرئيس الأسد كحل وحيد للازمة السورية أو عقد أية تفاهمات مع روسيا، ولكن قدرة أدواتها من العصابات الرجعية ومشغليهم الصهيو - وهابيين أثبتت أنها أعجز من القدرة على فرض مثل الشرط، وأصبح بقاء الأسد عنواناً لنتائج هذه المعركة السياسية لحلف المقاومة وأن التنازل عنه أو مجرد التفكير في بحثه، هو بداية للهزيمة والانصياع للشروط الأميركية في مقابل الحرب الاقليمية المجهولة العواقب إذا استمر العناد الأميركي في طرح مطلبه هذا. وبصراحة ليس لدى روسيا ما تقدمه لأميركا لمساعدتها في حل هذه الأزمات وغيرها كالقضية الفلسطينية والتي تسعى فيها أميركا إلى فرض «مشروع كيري» المرفوض أصلاً من «إسرائيل»، ما يعفي الطرف الآخر من إمكانية مساعدة أميركا في تمرير هذا المشروع وحتى لو وافقت «إسرائيل» فسيكون مربوطاً بقضية أهم على الجبهة السورية وهي قضية الانسحاب من الجولان السوري المحتل وحفظ حقوق لبنان في مياهه وأراضيه وثرواته الطبيعية، وكلها شروط زادت من ورطة أميركا في المنطقة.

إن قدر الصراع هذا ربط بين سوريا والقرم وجعل كل منهما تعبيراً منفصلاً وموحداً في الوقت نفسه لا يستطيع أيهما أن يفكر بالخروج سالماً من دون الآخر من هذا اللهب الإمبريالي الذي عصف بهما. ولكي ندرك ذلك علينا أن نرى أن الانتصارات الكبيرة التي حققها الجيش السوري ارتبطت مباشرة بانتصار روسيا السياسي الكبير، والذي حققه شعب القرم بالعودة إلى الحضن الروسي. وكما يجابه الطرفان العدو نفسه بشراسته وعنفه، وإن كان القسط الأعظم من الدم تحمله سوريا بشرف وبطولة (واكتسب معنى أن الدفاع عن موسكو يبدأ في دمشق). وتدرك روسيا كذلك أن النصر في دمشق هو النصر في موسكو وعلى الأرض الروسية، إنه الصراع المشترك والمعمد بالدم المشترك والمنتهي بالنصر المشترك.

* عضو الأمانة لحركة اليسار الاجتماعي الأردني

محنة السعودية: «يا ويلنا... أميركا تخلت عنا»!

محمود بري *

كان المفكر المصري الفذّ «أنور عبد الملك» الراحل في العام 2012 ، أول من أطلق النداء الشهير بـ«التوجه نحو الشرق»، داعياً العرب عموماً إلى التخلي عن انشداههم بالغرب والتوجه شرقاً حيث يعيش أكثر من ثلثي البشرية.

اليوم نسمع الصيحة ذاتها ترتفع ويتردد صداها، إنما ليس من عربي غيور أو من مشرقي طموح، بل من آخر شخص يمكن توقعه... الرئيس الأميركي «باراك أوباما». فهو أعلن خلال زيارته منطقة جنوب شرق آسيا مؤخراً، سياسة جديدة لبلاده تحت عنوان «محور الشرق» (pivot to east) ولم يتوجه بعبارته تلك إلى العرب كما فعل عبد الملك، بل إلى إدارته وإلى العالم، معبّراً من خلالها عن متغيّر أساسي استجدّ في السياسة الأميركية مؤداه التركيز الإستراتيجي من الآن وصاعداً على الشرق، وتحديداً على منطقة آسيا . الباسيفيك التي باتت أهم المناطق بالنسبة لمستقبل اميركا علي الصعد الاقتصادية والسياسية والأمنية.

أول مفاعيل هذا التوجه المستجد ظهرت في النطاق الأبرز على خريطة أزمات الغرب اليوم، وهو الاقتصاد. فلضمان استمرار حماية اقتصادها العملاق والأول في العالم، حملت واشنطن أساطيلها التجارية واتجهت للمرابطة والإنتشار والنشاط في أقاليم بحر الصين الجنوبي، تلك المنطقة التي يعبر فيها اليوم حوالي 40% من إجمالي حجم التجارة العالمية.

ومع السفن والجهد التجاري والآمال المتجددة بثروات هائلة ينبغي حصادها، تتحوّل واشنطن بعينها الثاقبة إلى حيث ترفرف مصالحها الحقيقية للعقود المقبلة، تلك المصالح التي لم تعد في ذات المناطق التي كانت فيها حتى الأمس القريب. ومع الاهتمام والمصالح والسفن التجارية، من الطبيعي أن تنتقل المظلّة

> الواقع أن المشكلة لم تولد اليوم بل ولدت مع وصولهم إلى عروشهم

الأمنية والقوة العسكرية وكل أدوات السلطان والحماية الأميركية...

من هذه المستجدات ولدت الاحتمالات السوداء وارتسمت الآفاق المخيفة أمام مجموعة «عالمية» من الحكّام القلقين الذين أُسقط في أيديهم حين شاهدوا واشنطن تتجاوز محطتهم من دون أن تتوقف، متابعة رحلتها إلى حيث تحملها مصالحها. وبعد الدهشة وصل الخوف فانقلب القوم على ماضيهم «الصموت» وتحفّظهم المرضي الذي طبع شخصياتهم المسرحية الكئيبة، فراحوا يرفعون الصوت معترضين (!)، ويعبّرون عن القلق والخوف والغضب، والعديد من مشاعر السخط البشرية التي لم يسبق أن أظهروها، ويخبطون خبط عشواء في مختلف الإتجاهات، أشبه ما يكون بثور هائج عصبوا عينيه وألقوا به وسط وكر دبابير.

في طليعة هؤلاء القلقين الغاضبين المتخبّطين يظهر حكّام «المحميات الأميركية» في منطقتنا العربية، من ملوك وأمراء وشيوخ وسلاطين ورؤساء... ممن يتربعون على كيانات عائلية أو عشائرية أو مخابراتية أو مافيوية... يسمونها تجاوزاً بالدول.

الواقع أنه ليس من العسير تفهّم سبب الإنهيارات المعنوية التي ألمّت بهؤلاء. فالحركة الأميركية المستجدة والتي أمضوا شهوراً طويلة في تكذيبها وتجاهلها، تجلّت في الأشهر الأخيرة بوضوح شديد بحيث لم يعد ممكناً الخطأ في تفسيرها ولا غضّ النظر عن انعكاساتها. وما زادهم خوفاً هو مزاوجة واشنطن القول بالفعل، وانصرافها نحو مركز اهتمامها الجديد، مع تضاؤل اهتمامها التقليدي بهم ومضيّها قِدَماً في انتهاج سياستها التي يشعرون أنها أهملتهم وبلغت حدّ تعريض وجودهم ذاته للخطر. هكذا انتشر الصراخ في ممالك الصمت وضجّ سيل التهجمات السعودية (ويا للعجب!) على «الحليف الأكبر»، وتوالت التصريحات «غير الرسمية» عن «تقليص التعاون مع واشنطن»، و«إلغاء صفقات أسلحة ونفط معها». وكانت المبررات المُعلنة لهذه المواقف السعودية الإنفعالية مشوّشة إلى حدّ كبير وغير مُقنعة إجمالاً، تتذرّع تارة بـ«تقارب أميركا مع إيران»، وطوراً بـ«عدم توجيه واشنطن ضربة للأسد»... حتى وصل الأمر إلى ذروته مع ما قاله الأمين العام للأمم المتحدة للشؤون السياسية «جيفري فيلتمان» عن الحكام السعوديين من إنهم «عندما رأوا علامات تقارب أميركي ـ إيراني جنّ جنونهم»، وإنه لم يشاهد «أوقح وأسوأ من الحكومة السعودية»... كل ذلك من دون أن ينفي أو يكذّب في ما بعد.

من طلائع رحلة الأسى والإحباط التي عانوها وأحدثت أول شرخ حقيقي في سفينة ثقتهم المطلقة بواشنطن، كان ذلك الإتصال الهاتفي «اللعين» الذي أعلن الإنفتاح الأميركي على عدوّهم الأصيل: إيران «النووية». الضربة الثانية جاءت من الميدان السوري، إذ قرأوا في عجزهم العملي عن إسقاط الأسد، إرادة أميركية غير مُعلنة بالإبقاء عليه (!). وبعدما عاد الرئيس الأميركي أوباما عن تهديداته لسوريا، وسحب من التداول مشروع الضربة العسكرية ضدها بعد أن كانوا باشروا من جهتهم إعداد التوابيت، انفجرت دفعة واحدة سفينة الثقة المبحرة منذ عقود. ومن دون سابق توقع شعر القوم أنهم باتوا خارج حسابات واشنطن، ولم يتمكنوا من فهم حقيقة ما يجري. لذا قاموا بعمل لم تسبقهم إليه دولة: تمنّعوا عن قبول عضوية مجلس الأمن الدولي (في 2013/10/18)، وهي العضوية التي كانوا سعوا جهدهم للحصول عليها. والواقع الثقيل الذي كان جاثماً في أساس هذا المسلك الشاذ، لم يعبّر عنه أحد بأفضل ما فعل الكاتب الصحافي السعودي محمد الساعد حين نشر في صحيفة «الوئام السعودية الإلكترونية» (بتاريخ 18 أكتوبر/ تشرين الأول 2013) مقالة تحت عنوان يختصر الأمر برمّته: «يا ويلنا... أميركا تخلّت عنّا».

الواقع أن المشكلة لم تولد اليوم بل وُلدت مع وصولهم إلى عروشهم. فالقوم أساساً لم يفهموا أو لم يريدوا أن يفهموا أن مجرّد حصولهم على حق اقتصادي في ثروات البلاد التي «أوفِدوا» إليها (وهي الثروات التي يهيمن عليها ويديرها الأميركي ويحميها فيحميهم بجريرتها)، كان يعني عملياً قبولهم بالتنازل له بالمقابل عن كل حقوقهم السياسية جملة وتفصيلاً.

ولو تأملنا مسيرة تراجع وزنهم النوعي في الإقليم الذي اعتبروا أنفسهم مركز دورانه ونقطة الاستقطاب الأقوى فيه، لأذهلنا مقدار تراكم خسائرهم وبلوغها كل هذا الحجم، من دون أن يقوموا بأيّ جهد حقيقي ومثمر للحدّ من سرعة هبوطهم القاتل نحو القاع. فهم خلال سنوات يمكن عدّها على الأصابع، خسروا العراق، ثم غزة، وخسروا جارهم «المفخخ» اليمن، وسلطنة عُمان، وخسروا السودان (ولم يربحوا ناس مصر)، وخسروا تركيا، وقبلها ليبيا وتونس... وهم في سبيلهم اليوم لخسارة سورية ولبنان وربما البحرين أيضاً. ثم جاءت الإستدارة الأميركية ثم فتح خطّ واشنطن _ طهران، فانفجر حراكهم الأهوج وصراخهم الأصمّ في وجه كل ريح، وحتى في وجه الرياح الأميركية ذاتها. وبلغت بهم الرعونة حدّ الإعلان عن نوع من «الحَرَد السياسي» غير المسبوق في الأندية الديبلوماسية، الأمر الذي اضطر وزير الخارجية الأميركي إلى التدخل بكل رصيده غير مرة للتهدئة. ذلك أن انتقال مركز الاهتمام الأميركي بعيداً عنهم، وانخفاض نبرة الحليف الأكبر في التحدث عما كان يحب أن يسمّيه «حكمتهم... واعتدالهم... ورشادهم»، وذلك أيام الغزل الذي كانت تنضح منه رائحة البترول، أسقط في يدهم فاستيقظوا على واقع تحوّلهم المرير من «شركاء ضروريين» إلى حلفاء يمكن الاستغناء عنهم (ويتثبّت هذا ابتداء من العام 2016 تحديداً، وهو التاريخ الذي يستغني فيه الأميركيون عن نفط الخليج ويصبحون – بفضل نفطهم الصخري - أول مصدّر للبترول في العالم... لذلك فحين غادرهم الأميركي إلى حيث تقتضي مصالحه الإستراتيجية الكبرى، ظهروا فجأة عُراة من كل حماية وضمان، وعاجزين عن الصمود أمام... انعكاس وجوههم في المرايا.

لذلك كلّه لن تُثمر زيارة أوباما للرياض أكثر مما يظهر منها على الشاشات.

فالقوم خسروا حربهم الوجودية منذ البداية، وهم اليوم على يقين من أن العدّ العكسي لـ«صلاحيتهم» قد ابتدأ.

... وفي بيت النملة العرجاء، كلّ نقطة ماء تصبح طوفاناً.

* صحافي لبناني